

أساطير وحكايات

مالك الحزين والبلبل المسكين..

دار القلم
بيروت - لبنان

أساطير وحكايات

مَالكُ الحزِيْنِ وَالبُلبُلُ المسْكِين

تأليف : محمد عبد الحميد الطرزي



دار القلم
بيروت - لبنان

كان البلبل الصداح يغني ويطرب سامعيه كل صباح فيستقبل يومه بالتفاؤل والغناء ويشيع المرح حوله وبين جيرانه من سكان البستان. .

وكان في قلب البستان شجرة كبيرة ثمارها غزيرة اختارها البلبل وواليفته لسكناهما بين جيرة طيبه ورفاق اختبرهم بدقة قبل ان يشرع في بناء عشه ويزوده بأول غصن وورقه. .

وكان يسكن أعلى الشجرة مالك الحزين وزوجته وفراخه الذين أسعدهم جارهم الجديد وأشاع في نفوسهم السعاده بتغريده الفريد وجمال صوته وحسن الترديد. .

جلسوا حول أمهم في العش الكبير وسألها احدهم

- أماه لماذا لا تغني بصوت جميل كما يغني البلبل. . ؟

وقال الثاني وكان أشد ذكاءاً

- الهذا أطلقوا علينا صفة الحزين. . ؟

تطلعت إليهما الأم وقالت

- لا يا صغاري. . وعليكم أن تسمعوا من القصة كاملة حتى لا تتوهموا ويشرد بكم الخيال. .

وأجابت الأول وقالت

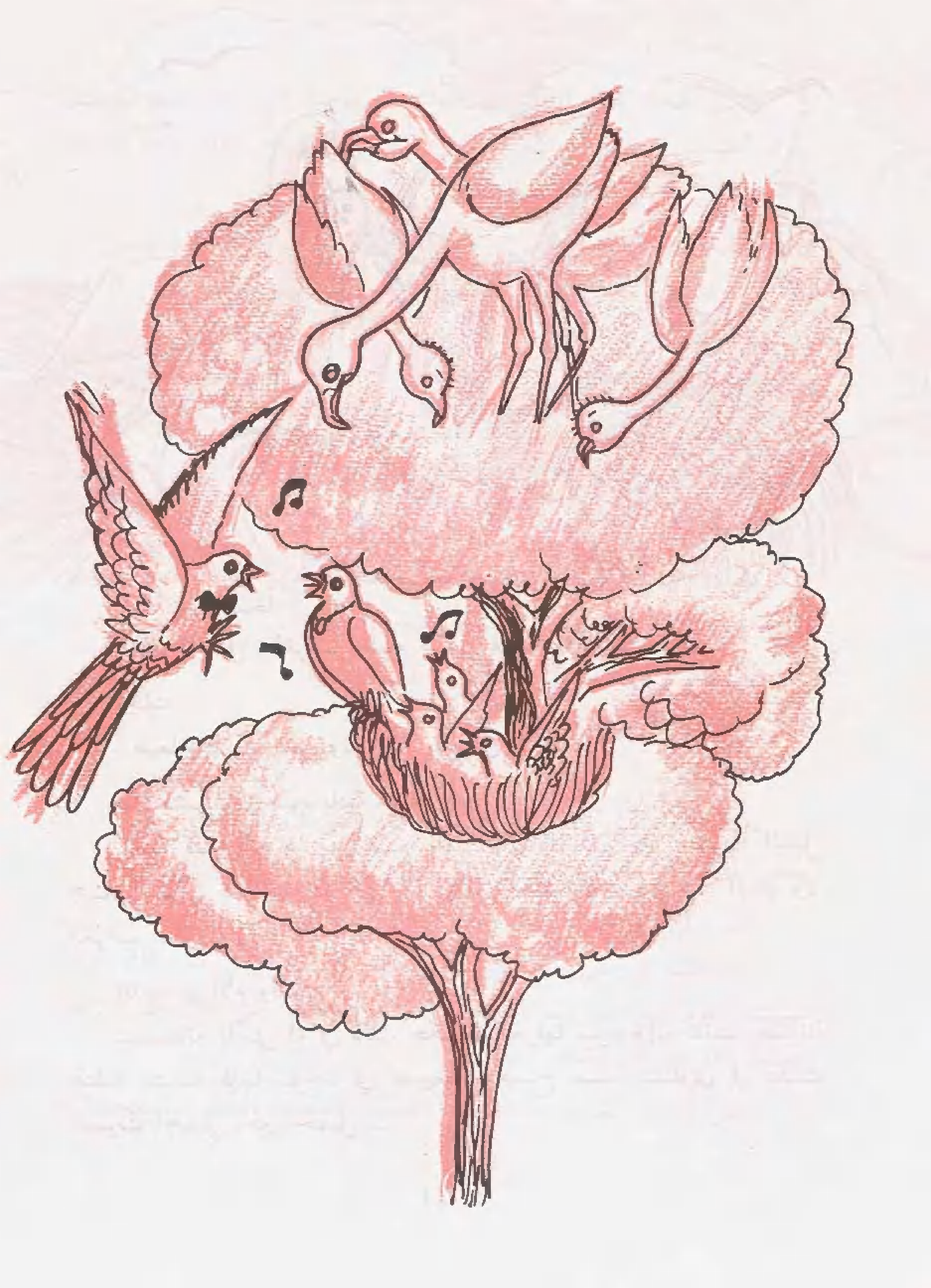
- سألتني لماذا لا نشدو ونصدح كما يشدو البلبل بصوته الجميل. . اعلم اذن أن الله خالق كل شيء ترونه. .

قال الفرخ مشدوها

- كل شيء. . ؟ الشجر والنهر والسماء؟

أجابته أمه

- نعم. . كل شيء وما في الكون كله من مخلوقات هي من بديع صنعه. .





سألها مستوضحاً

ـ اذن فالبلبل والغراب والبوم ضمن هذه المخلوقات يا أماه . .

أجابته

ـ طبعا وكذلك نحن وكل طير يطير في السماء . .

قال متسائلا والحيره بادية عليه

ـ اذن فنحن جميعا من صنع الله . . ؟ لماذا اذن جعل صوت البلبل جميلا يسحر سامعه اذا غنى ولم يجعلنا مثله لا نحن ولا البوم ولا الغراب . .

إبتسمت الأم وقالت

ـ سبحانه يا بني له في ذلك حكم لا يعرفها سواه وإن كانت أصواتنا مختلفة متباينة فإنها تتوحد في تسبيحه . صباح مساء يتساوى في ذلك الصوت الجميل وغير الجميل . .

وتعالى فجأة غناء البلبل في جولته الصباحية التي يطير فيها ويرفرف حول أعشاش جيرانه يقرئهم ببديع غنائه تحية الصباح فتهلل وجه الصغار وتطلعوا من العش ينتظرون ظهوره. .

وكان عش مالك الحزين آخر ما يطوف به في جولته فلما وصل اليه إستقبله الصغار بالترحيب والتهليل فأخذ يشدو ويتغنى بأجمل الألحان وأرقها اكراما لهم. .

قال أحد الأفراخ

ـ زدنا أيها البلبل الصداح فقد سحرتنا بحلو النغم وجمال الصوت فسبحان من صورك وبهذا السحر علمك وبجمال الصوت خصك وميزك. .

طرب البلبل لقول جاره الصغير وانطلق من جديد يشدو ويغني والصغار والكبار يصغون اليه بنشوة ويتمايلون طرباً. .

قال الفرخ وقد انتهى البلبل من الغناء راجيا

ـ هلا زدتنا أيها الصداح. .

قالت الأم

ـ كفى يا ولدي ولا تثقل عليه. . لقد أطربنا وأشجانا وعليه الآن أن يسعى الى رزقه وطعامه. .

قال البلبل بمرح

ـ صدقت يا جارتي فعلينا السعي وعلى الله التوفيق ومع ذلك عندما بمشيئته أعود قبل الغروب سأشدو لكم من جديد حتى تلازمكم الأنغام عندما تغفو عيونكم وتنام. .

وطار البلبل الغريد مودعا من الجميع بالدعاء والشكر والتمجيد الا



من غراب اسود قبيح حل على الشجرة منذ ايام ودون اذن ولا استئذان بنى عشه وجاء بأنثاه وفرخه.. كانوا مثله في قبحه وقد تميزوا جميعا بصفات ذميمه وخلق أبرز ما فيه الوقيعة والنميمة..

قال الغراب بغيظ
- انه لا يعرف الحزن فهو دائما أبدا في غناء وفرح..

قالت زوجته بحقد مرير
- ليت لأحد أفراخي مثل صوته..

وقال فرخ منها استبد به الغرور
- أنا يا أماه.. اذا شدوت وسمع سكان الروض تغريدي سيسحرون وفيه وفي غنائه يزهدون وأصبح أنا حبيبا للجميع..

قالت له أمه والأمل يراودها

ـ اذن هيا.. اسمعنا وأطربنا وإن كنت صادقاً وفعلت زهوت بك وبالخبر الى الجميع أنهيت ودعوتهم الى حفل كبير نعد له مما يخطفه والدكم الكبير وإن كان ليس له في الأمر ناقة أو بعير.

ساد الفرخ بغرور واختار لنفسه مكانا واضح مرموق ورفع برأسه عاليا ثم إنطلق متغنيا.. وما كاد يفعل حتى طارت عن الشجرة الطيور واكتأبت الصغار وأصابها النفور..

قال شقيقه وهو يدس برأسه تحت جناح امه

ـ اسكتيه يا أماه فما سمعت أقبح من صوته الا صوت أبي عندما يدعوك اليه..

وضمن من أصابهم الإكتئاب من قبح صوته كان فرخ مالك الحزين





وحتى تعبّر عما به أمسك بعود صلب من جدران العش وألقى به من حالق فسقط على رأس الغراب الذي بدل من الغناء صياح وعويل. .

قالت الأم وهي تنظر شذرا اليه وإن كتمت ما بنفسها خوفا من والديه

ـ لعنة تحل عليك وعلى اخوتك ووالديك. . أتفعلون كل هذا من أجل هذا البلبل الحقير. .؟ صبرا اذا حتى أحيك لـه المؤامرة وأحسن التدبير وسترون جميعا وقتها أنه فقد القدرة على الغناء وذاب صوته من الحزن والبكاء. . .

وإختلت بزوجها الغراب وقالت بصوت كفحيح الأفعى

ـ إسمع أيها الغراب. . انصت الى ما أقول جيدا واحذر الخطأ. .

تطلع اليها الغراب متسائلا وقال

ـ تكلمي ترى ما هو هذا الأمر الخطير الذي من أجله لم تسمحي لي بأن أطير. .؟

أجابته بدهاء شديد ومكر مزيد

ـ أجبني أولا على ما أريد. .؟ سأسألك الرأي ومنك نستفيد. .

قال الغراب بغرور

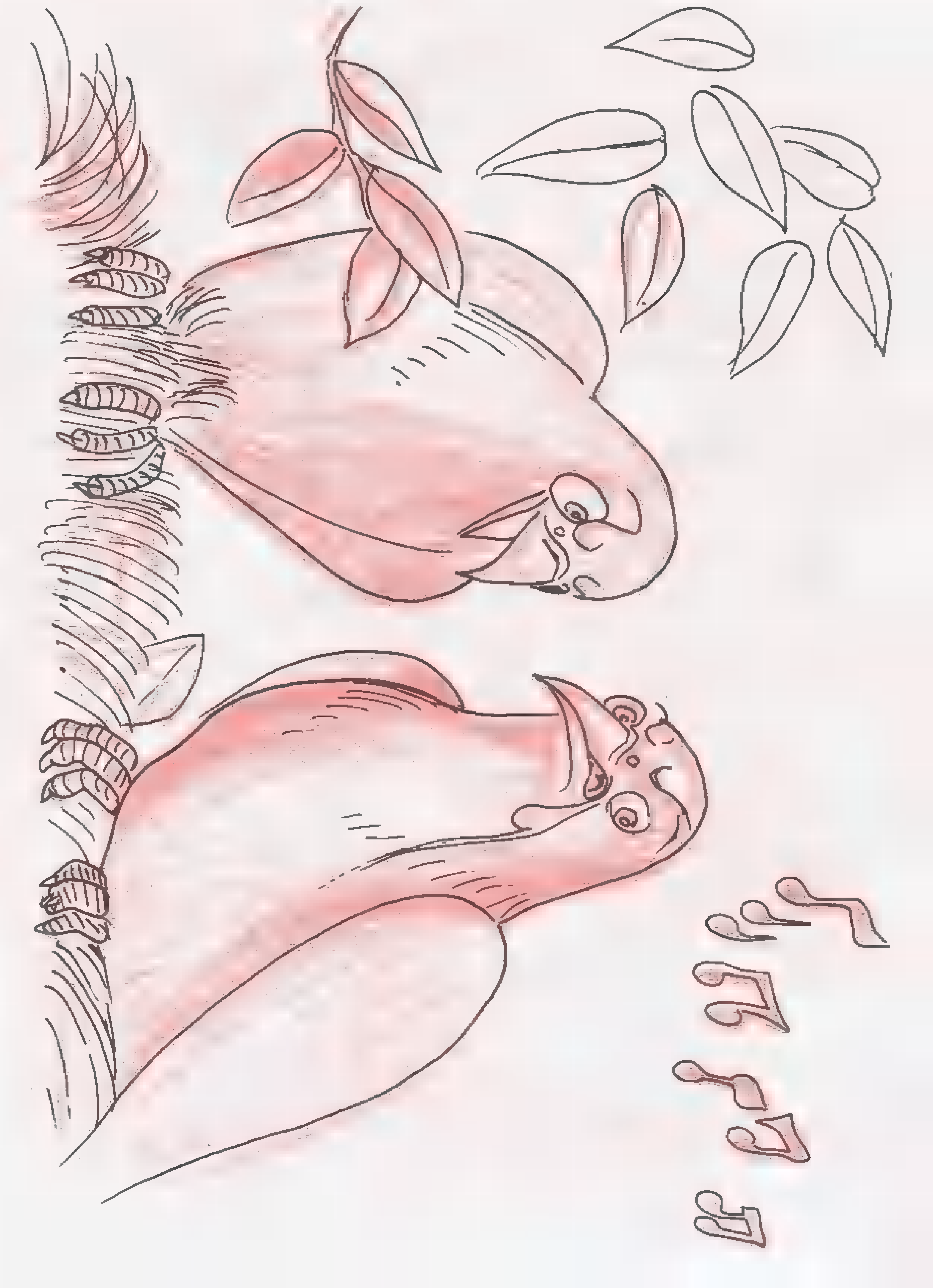
ـ اذن اسـرعي فإنني جـوعان ومتى خـوى جـوفي فقـدت القـدرة والبيان. .

خفضت من صوتها وهي تقول

ـ اخبرني وأصدقني الخبر. . أتغني وتهنأ لو أصابك سوء وحط عليك الكدر. .؟

أجابها بصوته الأجش الخشن

ـ أهذا هو السؤال. .؟ كان أحرى بك أن تسأليه لأحد الصغار. .



كيف يغني ويمرح من بالكدر تلفح..؟

قالت

- اذن فأنا مصيبة فيما أدبر..؟ سنجعله حزينا مقهورا فيكف عن الغناء ونسحق بذلك كبريائه وغروره..

نظر اليها باعجاب وقال

- وكيف تفعلين والحزن لمثله ضنين.. يغني اذا أحس الضيق فيفرج عن نفسه وكل من صادفه في طريق..

أجابته بدهاء والحقد يقطر من كلماتها كالماء

- سأدلك أنا وعليك الاسراع في التنفيذ.. عليك بعشه الجديد الذي هيأه من جديد ليستقبل زوجته التي تبزه في جمال الصوت والتغريد..

قال باعجاب

- نهدمه.. ومنه نحرمه.. فلا يجد لنفسه مأوى يأويه فتذهب العروس الى سواه وتمزق بذلك قلبه وحشاه.. بورك فيك أيتها اللعينة فحقا لقد دبرت وأحسنت الحيله..

ضحكت للثناء وقالت

- هيا اذن ولا تعود قبل أن أرى العش ممزقا تذروه الريح وتذهب بذهابه آماله وتنقضي فرحته ولا يبقى منها الا آلمه وأشجانه..

لم يتردد الغراب الحقود وعلى الفور طار بحذر ولكن ليعود وخلسة ودون أن يشعر به أحد من الطيور تسلل بين الأغصان واقترب من عش البلبل الحالم وكان قد بناه وشيده وبالريش الناعم زوده وتلفت حوله بحذر ثم أنقض عليه ينقره بمنقاره ويمزقه اربا بأظفاره حتى تناثرت ريشاته وتبعثرت قشياته وتبدد ريحه..

ولما انتهى اللعين من هدم العش الجميل عاد من حيث اتى وسعيد



ظانا بأنه عن العيون بعيد وهو جاهل بأن الله لايرضى عن كل جبار كفور هذا الذي يسعى الى جلب الشقاء ويسكنها الصدود..

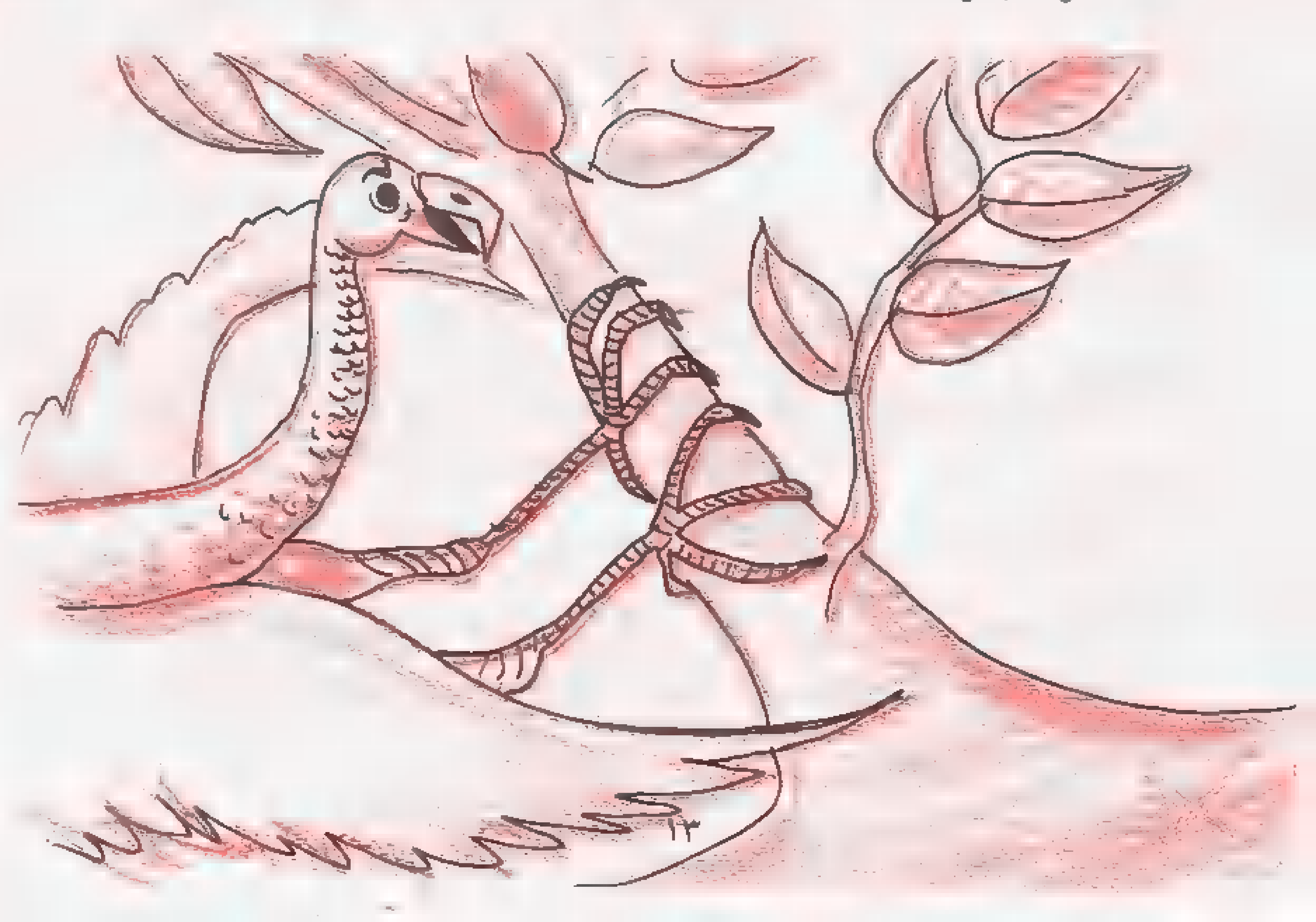
واقترب وقت الغروب وعاد مالك الحزين الى عشه محملا بالأسماك لفرخه..

أطعمتهم أمهم حتى اكتفوا وأحسوا الشبع واتخذوا أماكنهم من العش ينظرون الى الأفق بلهفة فتساءل الأب

- ماذا يشغل بالكم يا ترى..؟ تتطلعون الى الأفق بلهفة وشوق وكأنكم ترقبون الشمس في غروبها آسفين على يوم مضى وضياء سيزول..

أجابتهم أمهم

- انهم في انتظار عودة البلبل الصداح الذي أطربهم صباحا ووعدهم عند عودته بالمزيد..



هز مالك رأسه بوقار وقال.

ـ ما أطيب هذا البلبل الغريد وما أجمل ألحانه.. انه اذا غنى أنساني شقاء أيامي ومعاناتي وأنا أطير من نهر الى غدير التقط القوت للصغار في جهد يدوم حتى ينقضي النهار..

وفجأة هنف أحد الصغار بفرح شديد

ـ ها هو آت.. ها هو آت.. ولكن لا أراه وحيدا فالى جواره يطير بلبل سواه.

إبتسمت الأم وقالت:

ـ إنها وليفة.. أعدّ لها العش منذ أيام وزينة بالورود والرياحين ولا شك أنه أتى بها الساعة لينعما بين جنباته بالهناء والسعادة..

قال الصغار بفرح:

ـ أتشدو مثل شدوه الجميل..؟

أجابتهم أمهم:

ـ وما أجمل شدو الخليل للخليل..

وإقترب البلبل وتبينوا وليفته فإذا هي جميلة رقيقة في مثل رقته وتقدما نحو عش مالك الحزين وبين الصغار حطا الرحال.

قال البلبل:

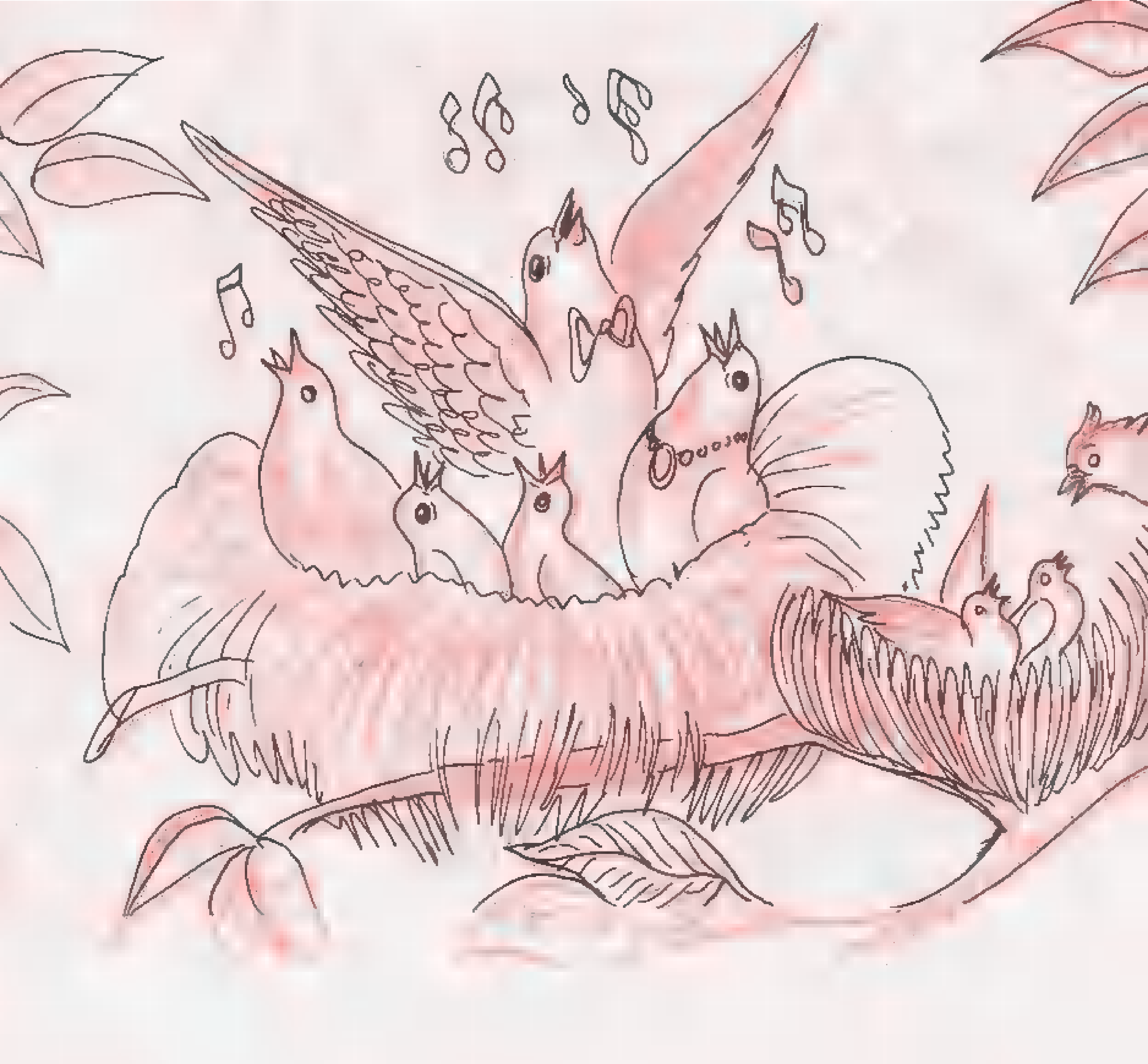
ـ هذه وليفتي جاءت ولزيارتكم بادرنا لنغني لكم معاً أجمل الألحان وأرق الأنغام فالفرحة جاءت في ركابها والسعد في إنتظارها فاتحاً بابه..



وإنطلقا معاً ينشدان فتجمعت الطيور وغادرت أعشاشها وإصطفت فوق الأفنان تصغي الى الشدو الجميل وتشارك في فرحة الخليل بالخليل..

تلفت مالك الحزين وبين الطيور فتش عن آخر الوافدين الى الدوحة الذي سكن دون إذن أو إستئذان وقال:

ـ أين الغراب..؟ لما لم يحضر ليشاركنا الأفراح؟



قال البلبل السعيد ذو الصوت الساحر الفريد

ـ لا شك أنه يحس بأنه بيننا غريب لذلك سأذهب لأدعوه..

وطار البلبل الى عش الغراب فرآه وزوجته والصغار جالسين ينظرون بعيون خبيثة الى البلبل الذي قال:

ـ يا صديقي الغراب لم تجلس هنا وكلنا في سعادة وفرح يضمنا مجلس بك سيكتمل وبفراخك وزوجك يتم لنا كل المراد والأمل. تعالوا وشاركونا الأفراح فقد جئت بوليفتي الجميلة لنبدأ معاً الحياة في ظل هذه الدوحة والجميلة . .

ضحكت زوجة الغراب وقالت:

ـ يقولون أمّن الدار ثم تأت بعدها الزوجة والصغار . . ألم يخبرك أحداً من الأصدقاء بما جرى؟

أجابها بصوته الجميل:

ـ قالوا لن يكتمل أنسنا إلاّ بوجوهكم بيننا.

إغتاظت لأجابته وقالت:

يا لهم من قوم منافقين . . أيدعونك للغناء والطرب وأنت بعيد عن نيل الأرب .؟ إذهب أيها المسكين وأنظر إلى حطام عشك فقد خربته البومة الشريرة ونحن من أمر حقدها عليك في شاغل وحيرة . .

صعق الخبر البلبل وصرخ بألم فجاء لحناً حزيناً يهز القلوب هزاً وإنطلق مسرعاً إلى عشه وزوجه الغراب تضحك بشماتة وتقول ساخرة

ـ جاء ليفرح فلم يجد له مطرح . .

ولما وصل البلبل الى حيث كان العش الجميل ورأى بقاياه فرت الدموع من مقلتيه وإنطلق يبكي بلحن حزين سمعه مالك الحزين



وجفلت له البلبلة الجميلة وقالت بلهفة وحيرة:

ـ ما بال زوجي يشدو بالأحزان لا شك أنه فوجئ بما لم يكن في الحسبان. دعونا نفتش عنه..

قال فرخ مالك الحزين:

ـ أنا أعرف السبب.. لقد رأيت المجرم وهو يفعل فعلته ولم أشأ أن أكدر على البلبل فرحته وقررت أن أدعوه ليمضي الليل عندنا فلما جاء بعروسه إحترت كيف أنهي إليه بالخبر وأنا من أجله حزين وقلبي منفطر..

وقبل أن يسرعوا أليه سمعوا صوته يقترب وهو يغني ويغني كما لم يسبق له أن فعل وحط الى جواره عروسه وقال:

ـ لقد ذهبت البومة بالآمال وعلينا بالصبر ويبدو أنه أمر محال..

قال مالك الحزين:

ـ صبراً أيها البلبل ولا يستبد بك اليأس وانتظروني حتى أعود.

وطار مالك الحزين مسرعاً ليعود في صحبة من رفاقه كبيرة وإنقضوا على الغراب وزوجته الشريرة وحملوهم الى حيث وقف البلبل وزوجته يشدوان بأنغام هزت الأفئدة والأبدان وقال:

ـ ها هو الشرير وزوجته فالبومة بريئة ولا شأن لها بهذه الفعلة الدنيئة.. لقد خربت عشه وسينال وزوجته وفراخه العقاب..

هز البلبل رأسه بحزن وقال:

ـ أغفر لها يا سيدي مالك فالنفس أمارة بالسوء..

دهش مالك الحزين وقال:

ـ أتطلب لهما الصفح بعد كل ما كان..

إنطلق البلبل يغني ويغني فأبكاهم من شدة الطرب وهز مالك رأسه وقال:

سننشيد لك عشاً يشترك في بنائه الكبار والصغار..

قال الغراب وهو يبكي ندماً

ـ بل أنا وحدي سأفعل ولعنة الله على هذه الزوجة اللعينة فهي سبب البلاء وأسس الداء..

قالت البلبلة وهي تمسح دموعها

ـ لقد شملها ما شملك من عفو فلا هي بلعينة ولا أنت بملام وعفا الله عما سلف وكان..

وعادا الى الغناء من جديد فتعجب مالك وقال:

ـ أتشدوان وتبعثان في نفوسنا النشوة والسعادة وقلبيكما يبكيان الدمع دون هوادة.. عجباً والله ما أرى..

نظر اليه البلبل وقال:

ـ لا تحسبوا أن ميلي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبوحاً من الألم.

تمت

الرسوم والإخراج: عبد الرحمن القاروط

صدر من أساطير وحكايات

- مالك الحزين والبلبل المسكين
- زارع الشر يحصده
- الراعي العجوز والملكة نفوس
- الأصيل والخسيس
- معروف وشقيقه متلوف
- مرآة الساحرة
- تاجر الكلام وابنة الإمام
- بئر الأماني
- العفريت الأعمى
- نصيحة الديك
- بدور والكلب الأعرج
- غندور والطائر المسحور
- قاطش وباطش وظاطش
- العفريت باطش والسلطان قادش
- الشحاذ والعفريت ظاطش
- زهران والمارد الغضبان
- يا ليل يا عين
- ملك الجان والعراف
- وهمان الجن صديق الانسان
- العصفور الأزرق واليتيم

تصدر عن دار القلم - بيروت - لبنان - ص. ب: ٣٨٧٤ - تلكس: ٤٢٢٨٩ - برقيا: قلمطاب - هاتف: ٢٧٢٠٢٠

الثمن: ٦ ليرات لبنانية أو ما يعادلها